

موقف الحداثيين من التراث بين القبول والرفض (موقف أدونيس أنموذجا)

Between Approval and Rejection: The Attitude of Modernists towards Traditional Heritage- Adonis's Position as a Case Study

بن عمارة ياسمين¹، أ. د محمد مرتاض²

¹ جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان (الجزائر)، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربي،

yasmina.benamara@univ-tlemcen.dz

² جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان (الجزائر)، cmortad2002@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/04/06 - تاريخ القبول: 2021/06/05 - تاريخ النشر: 2021/12/25

ملخص: تتطرق هذه الدراسة إلى أهم الآراء النقدية المنددة بالموقف الحداثي من التراث، كونه موقفا إشكالياً، وكون "التراث" و"الحداثة" على وجه الخصوص من المصطلحات الشائكة التي أثارت جدلاً واسعاً بين النقاد والباحثين، الأمر الذي دفعنا إلى استقصاء المفاهيم محاولين إيجاد العلاقة بين المصطلحين (التراث-الحداثة)، لنتمكن بعدها من تحديد موقف الحداثيين من التراث الذين انقسموا بين مؤيّد ومعارض، فالأوائل دعوا لمسألة الاتصال بكل ما هو تراثي، بينما الطرف التقيض أصرّ على الانفصال عن هذا التراث، ومع هذا وذاك تطرّقنا لبعض الأسماء إلا أننا ركّزنا على الموقف الأدونيسي بشكل خاص، باعتبار أدونيس أحد رواد الحداثة النقدية والأدبية العربية، كذلك باعتباره من الشخصيات المثيرة للجدل في الوسط النقدي العربي، حيث استمدّ نتاجه الشعري والنقدي من الثقافة الغربية ما أدى به إلى انتهاج طريق التمرد، داعياً إلى الإبداع رافضاً كل اتباع.

كلمات مفتاحية: التراث؛ الحداثة؛ أدونيس؛ القبول؛ الرفض؛ الإبداع...

Between Approval and Rejection: The Attitude of Modernists towards Traditional Heritage- Adonis's Position as a Case Study

Abstract: This article delves into the most significant critical views that disapprove of the modernist's judgment on the importance of traditional heritage, which is deemed as controversial. The traditionalists have always opposed modernism in a way that protects and promotes the legacy of tradition. This disagreement between researchers and scholars has proven to be divisive and the accumulation of their opinions has never been conclusive. Understanding the reasons behind this division requires an exploration of the deepest meanings of concepts such as "tradition" and "modernity," with an aim of finding the middle ground between the two. Whilst the proponents of tradition insisted on a revival of the heritage, the modernists called for an alienation from it. Throughout this study, some of the names have been evoked beside Adonis, with a great emphasis on the latter. Owing to his inspiration by the Western trend, and given his pioneering position as a fierce critic of imitation and an advocate of innovation, he became regarded as a polemicist in the context of Arabic literary criticism. **Key words:** Traditional heritage; modernity; Adonis; acceptance; rejection; innovation

1- المؤلف المرسل: بن عمارة ياسمين، الإيميل: yasmina.benamara@univ-tlemcen.dz

تقديم:

كثيرا ما نجد في التّقد العربي مصطلحات شائكة تثير بتشعباتها جدلا واسعا بين النّقاد والباحثين، ولعلّ مصطلحي "التّراث" و"الحداثة" على رأس قائمة هذه المصطلحات الشّائكة التي لازالت محلّ اشتغال الفكر التّقدي العربي المعاصر، باختلاف اتّجاهاته ومناهجه، حيث اختلفت تعريفات هذين المصطلحين، بل اختلف حتى الموقف منهما. وعليه يُطرح الإشكال الآتي:

✓ ما كان موقف الحداثيين من هذا التّراث خاصّة الشعراء منهم؟

✓ ما علاقة التّراث بالحداثة حسب نظر هؤلاء الحداثيين؟

ولإجابة على هذا وذاك نبدأ بتعريفات شاملة لكلّ من "التّراث" و"الحداثة"، محدّدين أولا طبيعة المصطلحين في مقاصدهما اللّغويّة انطلاقا من تعريفات المعاجم العربيّة التي تتفق في مجملها على أنّ لفظ التّراث هو كلّ ما يُخلّفه الرّجل لورثته، حيث ورد في لسان العرب مصطلح التّراث (Heritage) وأصله من الفعل ورث، وتدلّ مادّة (و.ر.ث) في معاجم اللّغة العربيّة على المال الذي يورثه الأب لأبنائه (بن منظور، مادّة ورث، الصفحات 199-200).

ونقول أيضا أوّزث المطر النّبات: نعم، وكذلك أوّره الشّيء: أعقبه إياه (صالح العلي الصالح، 1401هـ، صفحة 740)

وورد أيضا في معجم الوسيط: أوّث فلانا: جعله من ورثته، جعل ميراثه له، والميراث الإرث جمع موارث وعلم الموارث: علم الفرائض، والوارث صفة من صفات الله عز وجل، وهو الباقي الدائم الذي يرث الأرض ومن عليها والوراثه (علم الوراثه): العلم الذي يبحث في انتقال صفات الكائن الحي من جيل إلى آخر (ابراهيم مصطفى، 1960، صفحة 1081). وهكذا نستنتج بأن كلمة "التّراث" وردت في دلالتها المعجميّة بمفاهيم مختلفة، لعلّ أبرزها مفهومين أحدهما مادّي متعلّق بالمال، والآخر معنوي مرتبط بالنّسب.

اصطلاحا: يتفق الباحثون على أنّ التّراث: «هو كل ما وصل إلينا من الماضي البعيد، ويُعرّف التّراث على هذا الأساس بأنّه كل ما ورثناه تاريخيا» (محمد رياض وتار، 2002، صفحة 21)

والتّراث كما لاحظنا مصطلح مُتشعب الاتّجاهات لذا تعدّدت تعريفاته، وبالمقابل اختلف الباحثون حول تحديد مقوماته، «فالتّراث بمعناه الواسع هو ما خلّفه السّلف للخلف من مادّيات ومعنويّات أيّا كان نوعها، أي كلّ ما تركته الأجيال الغابرة من إنتاج فكري وحضاري، فهو يشمل ما تراكم خلال الأزمنة من عادات وتجارِب وفنون وعلوم لدى شعب من الشّعوب» (فارج مسرحي، 2006، صفحة 90).

وقد اجتهد عديد النّقاد في تقديم تعريفات موجزة عن مصطلح التّراث، فالجاري مثلا يراه كلّ ما خلّفه الماضي ولكّته بقي حيّا في الحاضر... وهنالك من فصّل فيه فوّلّى أنّه كلّ ما ورثه العربيّ المسلم عن أسلافه من مصادر التّلقّي من كتاب

موقف الحداثيين من التراث بين القبول والرفض (موقف أدونيس أمودجا)

وسنة وغير ذلك... ليأتي أدونيس ويحصر التراث في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف (أدونيس، 1978).

ومن كل هذا نلاحظ أن النقاد والدارسين اختلفوا في تعريفاتهم للتراث إلا أن جلهم اتفقوا على أنه ذلك الموروث الفكري الذي يتركه السلف للخلف- ليس هذا فحسب- بل وأجمع هؤلاء النقاد على ربطه بالشعر، مثل ما جاء في دراسة الدكتور عز الدين إسماعيل الموسومة بـ "الشعر العربي المعاصر"، هذا الإصدار الذي أثرى المكتبة العربية وأظهر مدى علاقة الشاعر المعاصر بتراثه، تلك العلاقة المتينة والقوية التابعة عن تشبته بالمادة التراثية القديمة بالرغم من تحليه عن القوالب الشكلية التقليدية إلا أنه لا يزال ينهل من المصادر الأساسية للتراث التي تتمثل في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والتراث الشعبي...

وبالتنقل إلى مصطلح "الحداثة"، إذا ما نقبنا عليها في المعاجم اللغوية فلنجد حتما سنجده معناه قائم بالأساس على التقابل مع القدم أي الجدة في الشيء، تماما كما جاء في كتاب العين على أن: «الحديث هو الجديد من الأشياء...» (الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي الخزومي، و د. السامرائي، 1989، صفحة 188)، هذا من جانبه اللغوي أما اصطلاحا فيعرفها جابر عصفور على سبيل المثال على أنها تعني الإبداع الذي هو نقيض الإتيان، والعقل الذي هو نقيض النقل (طه حسين، 1990، صفحة 366)، ويذهب نقاد آخرون إلى أبعد من ذلك فيرون أن الحداثة في تصور الحركة الثقافية الجديدة هي الانفصال عن القلم (عزيز حسين علي الموسري، 2015، صفحة 238)، وما هذا القدم إلا التراث الذي تركه لنا الأسلاف.

وللتفصيل أكثر فقد ألفينا أن مصطلح "الحداثة" (Modernism) يشير إلى اتجاه نشأ في الغرب، وشمل عديد المجالات كالنون (موسيقى، رسم، نحت...) وحتى الآداب من شعر وقصة... ويحدد لورانس: « بداية الحداثة كحركة أدبية وفنية كبرى سنة 1915م حيث شهدت نهاية العالم القديم (الحرب العالمية الأولى) » (العشيري، 2003) وقد ذهب "جان بودريار"¹ شأوا بعيدا في تعريفه لمصطلح "الحداثة" مؤكدا صعوبة اختصارها في مذهب أو مدرسة فيقول: «ليست الحداثة مفهوما سوسولوجيا أو مفهوما سياسيا، أو مفهوما تاريخيا يحصر المعنى، وإنما هي صيغة مميزة للحضارة تعارض صيغة التقليد...» ومع ذلك تظل الحداثة موضوعا عاما يتضمن في دلالاته إجمالا، الإشارة إلى تطور تاريخي بأكمله، وإلى تبادل في الذهنية «(عبد الغني بارة، 2005، الصفحات 15-16).

وطالما تجادل النقاد والدارسون حول مصطلحي "التراث" و "الحداثة" فمنهم من أقر أنهما نقيضان وجب الفصل بينهما، فأولى بذلك الأهمية للحداثة ورأى أنها تجاوز للتراث، ومنهم من رأى ضرورة الجمع بينهما إذ يكملان بعضهما البعض - حسب نظرهم- وأن التراث قاعدة صلبة يستطيع من خلالها الإنسان الارتكاز عليها ما يساعده على التفاعل مع

¹ بالفرنسية: Jean Baudrillard

مستجدات العصر وكذا استشراف المستقبل، وها هو جابر عصفور مثلاً يرى أنّ كلمة الحداثة مرتبطة بالثراث كما يُصرّح علناً أنّها كثيراً ما تسبّب لنا الخصومة بين القدماء والمحدثين، حيث يُضيف قائلاً: «وأظنّ أنّه في علاقة الحداثة بالثراث علينا أن نفهم هذه العلاقة ليست علاقة نفي مطلق وإنما هي علاقة اتّصال وانفصال، اتّصال بالعناصر الإيجابية في الثراث، تلك العناصر التي تدفع إلى تجاوز الحاضر، وانفصال عن العناصر غير الإيجابية التي تثبت الحاضر ولا تدفعه إلى التجاوز» (جهاد فاضل، الصفحات 51-52).

وهذا الكلام يجرّنا إلى موقف الحداثيين من الثراث خاصّة الشّعري منه، إذ اختلفت وجهات نظر الدارسين باختلاف اتّجاهاتهم الفكرية والإيديولوجية عبر مختلف الأزمنة، فهناك من تشبّث بالثراث بل وعضّ عليه بالتواجد حيث اعتبره القاعدة التي ترتكز عليها الهوية العربية فمثلاً «رؤاد النهضة الذين رأوا أنّ للعرب والمسلمين مادّة تراثية ثقافية وعلمية ضخمة ويمكن للعرب الرجوع إليها والاعتماد عليها على أن تكون لهم السند الأساسي إذا ما أحسنوا استغلالها للخروج من واقع التخلف الذي تعيشه المجتمعات العربية، ويذهب أصحاب هذا الرأي إلى أنّ سبب الضعف والتخلف الذي أصاب الأمة العربية إنّما يعود أساساً إلى الانحراف عن هذا الثراث وإهمال ما فيه من ثروة عقلية وعلمية كانت مصدر إشعاع حضاري يشهد له التاريخ وأنّ الضعف الذي آل إليه المسلمون فيما بعد إنّما يعود إلى ابتعادهم عن تراثهم وعن نهج أسلافهم...» (علي لطرش، صفحة 119) والمعروف أنّ أصحاب هذا الاتجاه سيّما الشعراء منهم قد خضعوا للثراث خضوعاً مطلقاً وانغمسوا فيه، فاستلهموا من مواضيعه ونسجوا على منواله، وهذا ما التمسناه عند الكلاسيكيين أو ما يسمّى بمدرسة الإحياء والبعث ولعلّ أبرز من مثّلها كان الشاعر البارودي، ومن أتباع هذا التيار نجد أيضاً صادق الزاغي، عبد الرحمان صدقي وغيرهما... وعلى النقيض من التيار الأول هنالك تيار آخر دعا إلى تبني الفكر الغربي باعتباره مُساعد على تحطّي الأزمات بل ودافع للحاق بالركب الحضاري، بالمقابل نكّز الثراث جملة وتفصيلاً، وجلّ هؤلاء كانوا «من الشّباب المتحمّس المندفع الذين لم يقدّروا قيمة هذا الثراث الفنيّة والتاريخيّة، فقد لوحظ عنهم انقطاع عن الثراث وأساليب الشعر التقليديّة والثقافيّة العامة الموروثة» (طه وادي، 2015، صفحة 71)، وكان الرأي الأصحّ عند أصحاب هذه النظرة هو «الأخذ بأسس وقواعد الحضارة الغربيّة الرّاقية فالعمل بمجده الأسس والقواعد في نظرهم هو الضّمان لرقيتنا وتطوّرنّا والخروج ممّا نعيشه من تخلف كبير...» (علي لطرش، صفحة 119)، وأبرز من مثّل هذا التيار: أدونيس، نزار قبّاني وغيرهما...

وبين هذين التيارين ظهرت فئة أخرى من الشعراء حاولت التجديد دون تمهيش الثراث القلم، بل اتّخذته كقاعدة في طريقة التناول الفنيّ، ما جعل موضوعاتها وصورها تتشابه مع موضوعات الثراث، وفي الآن ذاته تمتاز ببعض سمات الجدّة والحداثة، ولعلّ أبرز من مثّل هذه الفئة أحمد شوقي ومدرسته المعروفة بإنجاز الشعر الكلاسيكي. ومعروف أنّ هذا التيار تبنيّ الوسطيّة فعمل أصحابه جاهدين على التوفيق بين الحداثة والثراث وضرورة الاستفادة من الأمرين، ومن بين النقاد الذين دعوا إلى هذه النظرة محمد عابد الجابري، كذلك الناقد محمد أركون الذي ألحّ على ضرورة التخلّي على الفكر الاستشراقي

موقف الحداثيين من التراث بين القبول والرفض (موقف أدونيس أمودجا)

وإعادة صياغة الفكر الحديث عن طريق استيعاب الذات العربية وجعلها محور الدراسة... كذلك نجد ال "نقاد" عبد الملك مرتاض " وهو الآخر سار وفق التيار الوسطي، فقد اهتم كثيرا بالحدثة في المقابل لم يهتمش التراث أو ينكره ودليل ذلك قوله: «أنا لم أحارب الحدثة قط فأنا حدثي حتى التنازع... أنا عاكف على إعادة قراءة الكتابات الحدثية الفرنسية بتأن وتعمق... غير أنّ حدثي لا تعني جحودي لمنزلة التراث العربي الإسلامي العظيم...» (علي مصباحي، 2012-2011، صفحة 24) ثم يقولها صراحة دون وجل: «إذن، فبمقدار ما أنا حدثي فأنا تراثي وليعجب من أراد أن يعجب من ذلك» (علي مصباحي، 2012-2011، الصفحات 25-26).

فالحدثة إذن وفق هذا المنظور الجدلي الجامع بين التراث والحدثة لا تعني مقاطعة الماضي ورفض التراث ككل، على التقيض من ذلك إذ تسعى إلى التعامل مع التراث بل والإعلاء من شأنه والدفع به إلى مستوى ما يسمى بالمعاصرة، قصد مواكبة التقدم الحاصل على الصعيد العالمي.

ومع التيارين المتناقضين اللذين سبق ذكرهما برزت ازدواجية النظرة بسبب التصادم بين النزعة المحافظة ونزعة التجديد وكثيرا ما تبادل الفريقان التهم، وتعددت المعارك الأدبية بينهم، فمجادلات سلامة موسى وطه حسين مع الزايفي، كذلك مجادلات أحمد أمين مع زكي مبارك كلها نماذج حيّة لهذه الصراعات...

وإذا ما نظرنا إلى القضية عن قرب فإننا نجد عددا كبيرا من الشعراء الذين أخذوا على عاتقهم مهمة التجديد في الشعر العربي قد قلّلوا من شأن التراث، وهذا ما حدث مع الشاعر نزار قباني وكذلك أدونيس الذي كثيرا ما اتهم بعدائيه ونكرانه للتراث وظنّه أنّ الإبداع هو انقطاع عن التراث، وفي هذه النقطة تحديدا حقّ لنا التساؤل هل فعلا قصد أدونيس تلك القطيعة النهائية مع التراث والانفصال عنه بشكل جذري؟ والإجابة على هذا طبعاً تقتضي الدراسة والتقصّي لآراء هذا الشاعر القائل.

والواقع أنّ أطروحة "الثابت والمتحوّل" لأدونيس كانت بمثابة المنطاد الطائر الذي يُهدي المتعة للمسافر ولكنه طبعاً لا يخلو من المخاطر، كون هذه الدراسة حملت قضية هامة طالما شغلت الفكر النقدي ألا وهي ذلك الصراع القائم بين التراث العربي والحدثة، وعليه ألفينا دراسته أهدت فائدة ومتعة لبعض الباحثين والمطلّعين، لكن كانت أيضا مصدر نقاش البعض الآخر سيّما عند فئة النقاد ما جعل أدونيس شخصية مثيرة للجدل... ومن خلال هذه الأطروحة ذاتها أجمع جلّ النقاد على رفض أدونيس للتراث القديم، بل وصل بعضهم حدّ التهجم عليه...

ولقد كتب محمد دكروب مقالا بعنوان "الشعر والثورة" المنشور في مجلة آداب مايو سنة 1970 م (بشير تاويريت، 2009، صفحة 71)، وقد صرح فيه الناقد علانية برفض أدونيس للماضي والتراث عموماً... والتصريح نفسه طرحه ثلّة من النقاد الآخرين على غرار جهاد فاضل الذي رأى أنّ أدونيس «يعتبر الدّين عائفا وحجر عثرة أمام نهضة العرب كما أضاف قائلاً أنّ أدونيس قد نفّض يده من التاريخ العربي وكأنّه ليس تاريخه إنّّه لا ينتسب إليه، بل إلى كلّ خارج عليه

فيعتبره وحده هو المبدع وهو المتحوّل ويَنفض يده من الخطّ العام للتراث العربي الذي يعتبره هو موميائيا جامداً...» (جهاد فاضل، صدمة الحداثة لأدونيس، صدمة لأصول البحث العلمي ولروح الحداثة، 1978، صفحة 291).

وإذا ما دَقّقنا النَّظر في آراء هذا النّاقِد وأمثاله فإنّها تبعث إلينا رسائل مفادها دعوة أدونيس للتّخلي عن التّراث ، لبعثه لا يولي التّراث والحضارة العربيّة الإسلاميّة أهميّة بل يتجاهلهما ويدعو إلى مقاطعتهما والدّلّيل نظريّته القائمة على الهدم والانفصال.

إلا أنّ البحث والغور في هذا الموضوع يظهر لنا حقيقة مغايرة، ذلك أنّ أدونيس حاول أن يُحلّل التّراث العربي تحليلاً نقدياً، من خلال عمليتي الهدم ومعاودة البناء، من أجل تشكيل تراث عربي إسلامي عصري وحداثي بحسبه، فهذه التّراث يضمن لنا تجاوز تلك الرّؤية القلبيّة للعالم بل وتجاوز التّقليد الكلاسيكي ككلّ، ما يُسهم بالمقابل في الإبداع والخلق والابتكار يقول أدونيس في هذا الشّأن: «إذا كان التّغيير يفترض هدماً للبنى القديمة التّقليديّة، فإن هذا الهدم لا يجوز أن يكون بآلة من خارج التّراث العربي وإنّما يجب أن يكون بآلة من داخله، إنّ هدم الأصل يجب أن يمارس بالأصل ذاته» (نصر حامد أبو زيد، 2005، صفحة 232)، من هنا دعوته العلنيّة إلى قيام ثورة شاملة حول التّراث... رافضاً بذلك كلّ المواقف التي تقدّس التّراث وتبجّله، يقول أدونيس في هذا الصّدّد: «هذا الموقف الاستعادي للتّراث مازال سائداً، وأنا أرفضه، إنّ جوهر الإنسان هو الاتجاه نحو المستقبل، دوره هو أن يُغيّر ويتكرّر، لا أن يحفظ وأن يُكرّر» (أدونيس، فاتحة لنهايات القرن "بيانات من أجل ثقافة عربية جديدة"، 1980، الصفحات 275-276).

وجزاء كلّ هذه الآراء والمواقف لأدونيس من التّراث صدرت أحكام نقدية مضادة ومعادية له كما سبق ورأينا، بالمقابل برز بعض الدّارسين والنّقاد في موقف دفاع ساعين إلى توضيح توجّه أدونيس ونظريّاته، فها هو الباحث محمّد الطّيب قويدري مثلاً يُؤكّد على أنّ نظرة أدونيس تقوم على «نظرة حداثيّة تسعى إلى استيعاب التّاريخ العربي الإسلامي ضمن إطار التّطوري، فتحاول الإطاحة به وبينته الكليّة، وصفا وتقويماً، لإعادة تنظيم صورة التّاريخ والتّراث معاً في الوعي العربي المعاصر» (محمد الطيب قويدري، 1992، الصفحات 86-87).

وأدونيس ذاته لم يقف مكتوف الأيدي بل حاول الدّفاع عن نفسه بالإفصاح عن موقفه ورأيه بشكل دقيق محاربا كلّ غموض قائلاً: «إنّ تجاوز الماضي لا يعني تجاوزه على الإطلاق، وإنّما يعني تجاوزاً لأشكاله الرّوحية والتّقافيّة والإنسانيّة الماضيّة، التي يتوجب اليوم أن يزول فعلها بزوال الطّروف، التي كانت سبباً في نشوئها. فلم يعد الشّاعر العربي ينظر إلى الماضي كنموذج للكمال، أو كقدسيّة مُطلقة، صار الماضي يهّمه بقدر ما يدعوه إلى الحوار معه...» (أدونيس، زمن الشعر، 1978، صفحة 60) مُؤكّداً على بيان الارتباط بالتّراث من خلال علاقة الاتّصال والانقطاع، فالانقطاع إنّما يكون عمّا يسمّيه سطح التّراث، أي الأفكار والمواقف والأشكال، أمّا الاتّصال فيكون بما يسمّيه غور التّراث أي روحه وجوهره (أدونيس، زمن الشعر، 1978، صفحة 169).

موقف الحداثيين من التراث بين القبول والرفض (موقف أدونيس أنموذجا)

وثمة في رأيه ارتباط عضوي بين التراث والحداثة، لذا يبدو من المححف « الكلام على قطيعة جذرية وشاملة مع التراث أو الماضي... إن عليهم أن يدركوا أنّ الذين أسّسوا الحداثة الغربية، كمثّل رامبو وبودلير ومالارميه، كانوا كلاسيكيين - أعني أنّهم لم يخلقوا الحديث إلا بفضل ارتباطهم العضوي العميق بالقديم » (أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتابة، صفحة 98). هكذا يفصل أدونيس في مسألة العلاقة بين القديم والحديث، إذ يجزم أنّها علاقة ارتباط وتكامل، علاقة ارتكاز الحديث على القديم، علاقة خروج الحديث من القديم، لأنّها ليست علاقة انفصال تام تستوجب القطيعة الجذرية، يقول أدونيس: «ولكن كان الإبداع فيما وراء القدماء والحداثة، فلا يمكن أن تكون قطيعة بين الحداثة والقدماء عميقاً، وإنّما يكون بينهما فرق، يتجلّى هذا الفرق من ناحية في استخدام عناصر قديمة استخداماً حديثاً » (أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتابة، صفحة 99).

ومن خلال هذا النموذج الذي قدّمناه نستنتج أنّ الشاعر صار في حالة انتقاء يقوم بأخذ بعض من الموروث، بما يتفق مع تطلّعاته وأفكاره «فعلاقة الشاعر والشعر بالتراث الإنساني علاقة جدليّة لأنّ الشاعر المعاصر لا يقبل الموروث كلّ ولا يرفضه كلّ، وإنّما تتمثّل بينهما علاقة من التفاعل والتجاذب يصطفي من خلالها الشاعر ما يتناسب وروح العصر » (عبد القادر بغداد، 2015). هذه النقطة تأخذنا إلى «قضية توظيف التراث في الكتابة العربية الحديثة التي صارت إحدى مفهومات النصّ المفتوح، هو انفتاحه على الماضي وتوظيفه لتراث وآداب ومعارف الماضي في بنائه... فهو نصّ مُفتّح في اتجاهين باتجاه الماضي وباتجاه الحاضر» (عزيز حسين علي الموسري، 2015، صفحة 239)...

ومن هنا يتبيّن أنّه بمرور الوقت تغيّرت نظرة الشاعر إلى التراث، فبعدما كانت النظرة شاملة تتعامل مع التراث بوصفه كتلة واحدة هو الماضي بتفصيلاته جميعها، من أساليب كتابيّة إبداعية إلى طريقة التفكير إلى نظام الحياة، وفي هذه المرحلة جاءت المواقف إمّا رافضة لهذا التراث وإمّا منتمية إليه قابلة به (عزيز حسين علي الموسري، 2015، صفحة 67)... إلا أنّها تغيّرت هذه النظرة وتبدّلت بفضل الشعراء المعاصرين المحدثين الذين استطاعوا أن ينظروا لهذا التراث نظرة اعتدال دون مغالاة أو تطرّف متجاوزين في ذلك الأشكال والقوالب مركّزين على الجوهر والروح ومن ثمّ اهتموا إلى لبّه وأبعاده المعنويّة . وحقيقة إنّ «الحداثة تحاول أن تظلّ أمانة لما كان يتطلّع إليه التراث، بعيداً عن وثيقته المرجعيّة التي ظلّت تصوّر الأشياء كما هي، لا كما ينبغي أن تكون، وإذن فالحداثة لا تُلغي الماضي بقدر ما تحاول أن تحتل هذا الماضي... فتستوعبه بعد أن تقوضه ثم تبني عليه فكراً مشبعاً ببعض عناصر الفكر الذي كان، و ببعض عناصر الفكر الذي هو كائن لتستشرف منهما ما سيكون...» (خيرة حمر العين، 1996، صفحة 17).

ومن ثمّ على الشاعر الحديث أن يحدّد علاقته بالتراث عن طريق اكتشاف العناصر الفاعلة فيه الشيء الذي يسهّل عليه الانطلاق. فالمدّع أياً كان لا يأتي إبداعه من فراغ وحتى أدونيس الذي أتمّ بعدائيّته للتراث فقد استعان به من خلال توظيفه للرموز والأساطير. وعليه نستنتج أنّ التراث بالنسبة إليه هو الآخر تلك القوى الحيّة والفاعلة التي تمضي بالإنسان

فُدُما، بحيث تُمَكِّنُهُ من التفاعل مع ماضيه ما يسهم في إضاءة حاضره ومُستقبله... ومع أن كلام أدونيس مقبول ومنطقي من حيث تفسيره للحدائث وموقفه من التّراث إلّا أنّنا لا نتوافق معه حينما ألبس الحضارة العربيّة الإسلاميّة حلّة التقليد، فهنا وقع في خطأ جسيم سجّله التاريخ وحُسب عليه، فالحضارة العربيّة كانت منطلقا لحضارات أخرى بالرّغم من كل ذلك التّجاهل والتّكرار من طرف الغرب وحتى العربان.

خاتمة:

لاحظنا ممّا سبق اهتمام الكثير من الباحثين والمفكرين المعاصرين وانشغالهم بقضية التّراث العربي نظرا لارتباط هذا الأخير ارتباطا وثيقا بالحدائث، إلّا أنّ قراء أهما للتّقليدية اختلفت وتعدّدت بتباين اتّجاهاتهم، فقد حاولنا تقديم بعض التّماذج والتي اختلفت بين المدافعين عن التّراث وبين الذين أضاحوا للتّراث في نظورهم انكسارا للأمة إذ سعى التّخلّص من كلّ ما هو قديم، والأخذ بالجديد من أجل اللّحاق بالغرب المتطوّر، بين هذا وذاك ظهر تيّار تبنّى الوسطيّة وراح يأخذ من التّراث ما يناسبه محاولا عصرنته لمواكبة الرّكب.

ومن بين التّماذج التي سلّطنا عليها الضّياء في دراستنا موقف أدونيس ونظرته للتّراث، هذه الشّخصيّة المثيرة للجدل والتي اتّهمّت برفضها المطلق للتّراث وكذا تناقضها مع ذاتها... إلّا أنّ الاستقصاء والتّحريّ أظهر أنّ رفض أدونيس للتّراث لم يكن رفضا مطلقا وإنّما رفض انتقائي، هذا ما أدّى إلى تميّز أدونيس وانفراده في قراءته للتّراث العربي، ولا عجب في هذا كلّ إذ استمدت هذه الشّخصيّة فكرها وثقافتها من الغرب، رافضة الاتّباع منساقا وراء الإبداع، هذا الإبداع الذي أصبح مفقودا في واقعنا الحالي بسبب الاندماج الكلّي للتّراث، فقد هيمن هذا الأخير على فكر الانسان العربي حتى أصبح عبدا مقيداً غير قادر على الإنتاج وتحوّل بذلك إلى "كائن تراثي" على حدّ قول الجابري بدل أن يكون "كائن له تراث" يسعى من خلال الاستثمار في تراثه إلى التّفكير الذي يولّد الإبداع ومن ثمّ يكتسب الرّوح الجماليّة والتّقدية...

المصادر و المراجع :

- ابراهيم مصطفى و آخرون. (1960). المعجم الوسيط ج1 ج2. القاهرة: مجمّع اللّغة العربيّة.
- أدونيس. (1978). زمن الشّعر. بيروت: دار العودة.
- أدونيس. (1980). فاتحة لنهايات القرن "بيانات من أجل ثقافة عربيّة جديدة". بيروت: دار العودة ط1.
- أدونيس. (1993). النصّ القرآني وآفاق الكتابة. بيروت. دار الآداب.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي، و د. السّامرائي. (1989). العين ج3 مادة "حدث". بغداد: وزارة الاعلام.

موقف الحداثيين من التراث بين القبول والرفض (موقف أدونيس أمودجا)

- أمينة الشيخ سليمان الأحمد صالح العلي الصالح. (1401هـ). المعجم الصّافي في اللّغة العربيّة . الرياض.
- بشير تاويريت. (2009). إشكالية الموقف الادونيسي من التراث في ميزان التّقد. مجلّة التواصل ع 23، صفحة 71.
- ابن منظور. (مادة ورث). لسان العرب. القاهرة. دار المعارف
- جهاد فاضل. (15 08, 1978). صدمة الحداثة لأدونيس، صدمة لأصول البحث العلمي ولروح الحداثة . مجلّة الفكر العربي معهد الإضاءة العربي ع 1.
- جهاد فاضل . (بلا تاريخ). أسئلة التّقد حوارات مع التّقد العرب . مصر. الدّار العربيّة للكتاب.
- خيرة حمر العين. (1996). جلال الحداثة في نقد الشّعري العربي . دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- طه حسين. (1990). العقلائية-الديموقراطية -الحداثة في قضايا وشهادات ج 1. قبرص: مؤسسة عيبال للدراسات والنّشر.
- طه وادي. (2015). جماليّات القصيدة المعاصرة . القاهرة: الشركة المصريّة العالميّة للنّشر ط 1.
- عبد الغني بارة . (2005). إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب التّقدي العربي المعاصر مقارنة حوارية في الأصول المعرفية. مصر: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.
- عبد القادر بغايد . (05 06, 2015). الشّعري العربي المعاصر ومشكلة الجدل ما بين التراث والحداثة . مجلة فكر التّقافية.
- عزيز حسين علي الموسري. (2015). النصّ المفتوح في التّقد العربي الحديث. الدّار المنهجية.
- علي لطرش. (بلا تاريخ). علاقة التراث بالحداثة وإشكالية الرّفص والقبول. مجلّة الباحث.
- علي مصباحي. (2011-2012). التجربة التّقدية عند محمد مفتاح. رسالة مقدّمة لنيل شهادة ماجستير . جامعة الحاج لخضر باتنة، قسم اللّغة العربيّة.
- فارح مسرحي. (2006). الحداثة في فكر محمد أركون، مقارنة أولية . الجزائر: منشورات الاختلاف، الدار العربيّة للعلوم.
- محمد الطيّب قويدري. (1992). الموقف التّقدي لأدونيس من التراث . رسالة ماجستير . جامعة الجزائر، معهد اللغة العربيّة وآدابها.
- محمد رياض وتار. (2002). توظيف التراث في الرّواية العربيّة المعاصرة . سوريا: دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب .

- محمود أحمد العشيري. (2003). الاتجاهات النقدية والأدبية الحديثة دليل القارئ العام. القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات ط2.
- نصر حامد أبو زيد. (2005). إشكاليات القراءة وآليات التأويل . المغرب-لبنان: المركز الثقافي العربي ط7.